

عن الحلاج والشيباني وغروب الشمس في

في وداع صاحب كتاب الصلوة بين التصوف والتشيع

فرحي الذي كان يغمرني وأنا احمل نسخة من كتابي اليه، كنت لا اخفي حرجا من أنني كمن يحمل الماء لسقاء بغدادى أصيل.

أتذكر ذلك اللقاء وكيف تلمس غلاف الكتاب بصدق، وهو يقول: كتاب آخر عن الحلاج، دار بيننا كلام طويل عن الكتاب، وتوقف هو عند فكرة جمع الحلاج في كتاب واحد، وكان يميل الى فكرة ان هذا الكتاب لو كان قد صدر في وقت سابق لكانت له قصة أخرى، أتذكر الآن انه يستحق منا ان نعيد النظر في أدبيات الرثاء، فقد تحدثت عن الموت، وتورطوا الاحياء به، ولي عودة اخرى لثراء استاذي الشيباني فالحديث بهذه العجالة عن شخصية كالشيباني يتطلب مقاما آخر وحرية أكبر لكنني أراه ملحقا بروحه العظيمة في فضاء الشويعيزية تحف به ارواح هؤلاء العظام وهم يستقبلون سالكا كبيرا لطريق التصوف، ربح الله ابا طريف، الذي أقفل بموته حكاية عصر بأكمله، وأنهى على يديه صياغة درس امتد لاكثر من نصف قرن.

لتعد عليك الصباحات والمساءات يا ابا طريف بالسلام والسكينة ما اشرفت شمس وتنفس صباح.

حياة الشيباني أجد نفسي في مآزق كتابة رثاء عن موت صديق وأستاذ لم يدخر جهدا لتيسير الطريق أمام تلامذته، ولم يتكاسل عن ابداء ملاحظاته، او يتأخر في الاجابة عن أسئلتي الكثيرة.

ستبقى صورة ذلك اليوم الذي حملت فيه نسخة كتابي عن الحلاج اليه يوما مهما في حياتي يذكرني بمشهد طالما حملت ان احياه فرحه بصدور الكتاب وبدا فرحا لتعلق الامر بالحلاج، واكن الامر بالنسبة لي بمثابة مباركة للكتاب حقيقة، يفهم انه لا يحق لي اصدار شيء عن الحلاج دون استشارة أستاذ جليل منح حياته قاطبة للدرس العلمي، وهو من القلائل الذين يحق لهم الحكم على الكتاب.

لقد بقي الشيباني وفيا للدرس الصوفي لم تتجاهبه تيارات التغيير السياسية، والانعطافات التي مرت بها البلاد، انه باحث بقي مخلصا للدرس وحسب، ولم يكن ليتحرى سوى الحقيقة التي لا ينشغل بها سوى طائفة من العلماء يتعالون فوق المصالح والتجاهلات، فقد كان الشيباني نموذجا لا يختلف عليه في هذا الصدد، واطن ان تلامذته في الجامعة قد لمسوا الحقيقة بوضوح.

أتذكر خطواتي المترددة وأنا احمل اليه كتابي: الحلاج الأعمال الكاملة، مع

صوفيا لهذا الكتاب. اليوم وقد تلقفت يد الموت



لي تقديم كتاب ليباحث باسمه وحجمه، ولعلامة كبير بمستواه، فاعلمته بحراجة الامر وانني حقيقة اشعر بالحرج من تقديم كتاب له، قال لي: كنت أتمنى ان تكون مقدمة كتابك عن موت الحلاج مقدمة لهذا الكتاب. اعتقد انك ستكتب مقدمة هذا الكتاب انا اطلب منك ذلك فصصم ت وامثلت لطليه. فاتفقنا على ان اكتب مقدمة عن فكرة الموت

وكانت رحلته مع التصوف قد بدأت فعليا بعد أن شد الرحال الى آداب الإسكندرية ملتقيا بابي العلا عفيفي وهو أحد كبار دارسي ابن عربي، وجمعتها علاقة وثيقة كان محورها الدرس الصوفي، فقد توفر للشيباني أن يتلمذ على يد كبار العلماء فمئذ بدايات حياته في كتابات الكاظمية توفرت للشيباني رحلة علمية توجهها بحصوله على الدكتوراه على يد المستشرق آريري الذي تابع معه اطروحته للدكتوراه، وكان الشيباني في كل تلك الانعطافات العلمية يتحرك بين فضاءات جيل من كبار المستشرقين والعلماء.

لقد وجد الشيباني في نفسه نزوعا كبيرا لدراسة كل ما هو مسكوت عنه ومجهول في تراثنا، وخلف لنا تراثا كبيرا ومهما توزع بين التصوف والفنون الشعرية والفلكلور.

عندما رزته المرة الاخيرة استأمني الشيباني على ثلاثة كتب اعدها الآن للصدور عن المدى، أود هنا التعرض لحكاية واحد من هذه الكتب الذي طلب مني كتابة مقدمة له، فقد جمع الشيباني اشعار الموت في التراث العربي، وطلب مني أن أؤخر نشره قدر ما استطعت حتى يلتحق بالرفيق الاعلى، وبعد ان حاولت الاعتذار عن تحمل مسؤولية كبيرة كهذه، يفهم انه لا يتوفر

حينما وصلني نبأ رحيل استاذي وصديقي كامل مصطفى الشيباني، قضيت وقتا طويلا استعيد فيه مسيرة صويي ويأبى ويشكل حلقة اخيرة من نهاية عصر ازدهم بالجدل والإبداع والتجديد، فبموت الشيباني يمكن القول إن مرحلة من مراحل الدرس الصوفي تقفل نهايتها على مشاريع كبرى ارتبطت بالحلاج والسهورودي والنري، وبمساحات مجهولة من تاريخنا عموما.

الذي أنشأ تلك العلاقة بيني وبين الشيباني هو أحد هؤلاء العظام الذي تفرغ الشيباني لدراسة آثاره سنوات طويلة من حياته فالحلاج الذي جمع بيني وبين الرجل ظل حتى آخر لقاء بيننا هو هاجس الشيباني، فكما لم يكن الحلاج من الشخصيات التي تحتمل ان نخضعها للمقولات المألوفة كان الشيباني أيضا مثيرا للكثير من الجدل في طروحاته التي اتخذت من إعادة النظر في تاريخنا وتاريخ نشوء الحركات والفاهيم والتصورات، فأعاد قراءة الكثير من تلك الأفكار والمواقف، الأمر الذي أدى إلى نشوء هجمة عنيفة حين صدور كتاب الصلوة بين التصوف والتشيع، ولم يتوان الشيباني عن عرض أفكاره بكل جرأة وشجاعة مبيدا النظر في كل تفصيل بروح باحث مهووس بالحقيقة وحدها.

قاسم محمد

الحوار الأخير للعلامة الشيباني مع (المدى)

في باكستان منذ اواخر الخمسينيات واعرف عن العلامة آرييري انه انسان موضوعي الى اقصى حد مع تدين واضح لديانته المسيحية وخالصه لها وصدوره عنها، وما يذكر للعلامة آرييري انه كان شاعرا بالانكليزية كتب عن رباعيات الخيام وترجمها ايضا وكتب عن الوان في الشعر العربي القديم والحديث، التقليدي وغيره. ومن هنا يستقر منا كل تقدير مع الاعتبار الموضوعي للظروف التي احاطت به، اما ماسينيون فقد بدأ حياته ضابطا في المخابرات الفرنسية ونزل المغرب في اوائل القرن العشرين ثم لفت نظره التصوف الاسلامي وخصوصا الحلاج الذي اختاره للحصول على درجة الدكتوراه والتي استغرقت كتاباته ثلاثا وعشرين سنة، ومع تعاطف ماسينيون مع الحركات الاستقلالية، وخصوصا في الجزائر فقد كان له اهتمام كبير في الحركة المسيحية في العراق وساعد كثيرا على تطويرها واستقدام الباحثين اليها من الاقطار الاوربية ومما يذكر لماسينيون انه اختلط واتحاطا واضحا بالباحثين العرب في العراق ومصر وكان صديقا للباحثين الالوسيين كالعلامة الشيخ محمود شكري وقراباته، وكان له دور في المجمع العلمي بمصر (مجمع اللغة العربية بمصر) اذ كان من اعضائه البارزين. ينبغي ان نذكر هنا ان الاستشراق على العموم فقد حماسته الاستعمارية وارتباطه في السياسات المحلية الاوربية وصار يشكل مجموعة من الباحثين الموضوعيين في عصرنا الحديث مع قيام القاعدة التي تقول: لكل قاعدة شذوذ.

ذكرت انني من مواليد الكاظمية اعترض علي المشرف عليها وطلب مني ان اضع مكان هذه العبارة وولد في منطقة قريبة من بغداد فلما اصرتت على ان اعتمد بانتمائي الى مدينتي العظيمة فرضخ للامر كارها. اما في البلاد العربية الاخرى فلم الق هذه المعاملة، واذت كنت معروف الميول والنوجه.

ما هو رأيكم بدور الاستشراق في دراسة التراث الغربي؟ وما هو موقفكم بشكايا خاص من المستشرقين: آرييري، وماسينيون؟

- ينبغي ان لا ننسى ان المستشرقين رجال ينتمون الى اقطار واديان وميول وتوجهات اخرى بحسب تطلعاتهم والشخصية فمنهم المعادي، ومنهم الناقم، ومنهم الطامع، ومنهم الموضوعي، ومنهم الباحث وعلى الحقيقة، ومنهم المتدين لدينه وعلى هذا الاساس فالمستشرقون لا يمكن اصدار حكم واحد عليهم جميعا بوصفهم جماعة مستقلة او امة من الامم لكن ينبغي ان نلاحظ ان هؤلاء الباحثين مستقلون عنا تمام الاستقلال ومنصلون تمام الانفصال ومن هنا ياتي استقلالهم عنا في البحث وتمسكهم بحريتهم فيه. وينبغي علينا ان نتطرق الى كل واحد بحسب ظروفه واهدافه وان نبتعد عن اصدار حكم واحد عليهم. اما العلامة آرييري فقد كان المشرف على رسالة الدكتوراه، الحقيقة انني اعتر به كل الاعتزاز واحترمه كل الاحترام، واجله كل الاجلال اذ كتب لنا ثمانية وستين كتابا تتجاوز عمره الذي عاشه في هذه الدنيا، ومن اهم اعماله ترجمته الدقيقة للقرآن الكريم واعتبارها النص الرسمي لمن يكتب في موضوعاتنا في اللغات غير العربية.. وما ينكر ان هذه الترجمة الدقيقة قد نالها كثير من النقد حتى منعت

الاشعار، وكذلك اكتشفت ان بعض الفنون الشعرية قد ضعف التعامل معها، ومنها (الدوبيت) الذي جمعت المعارف في الفاهرة والثالثة في دار الاندلس في بيروت، وربما هناك طيبة رابعة في المانيا في دار الجمل التي يشرف عليها الاستاذ (خالد المعالي)، لقد حظي هذا الكتاب باهتمام ايجابي وسلبى بين العرب واثار كثيرا من الخصومات ومنها عندنا (في العراق) نؤمل ألا يكون ظهوره سببا في خيبة امل للباحثين والقراء.

برزت في ميدان تحقيق الشعر، وبالذات شعر الحلاج وابي بكر الشبلي والنوري ثم توجهت نحو الفنون الشعرية المولدة التي ظهرت في الصور المتأخرة كبحر السلسلة والو بيت، والكان وكان.. وغيرها. ما هو منهجكم في التحقيق، وهل ثمة فرق بين الاتجاهين: شعر التصوف والفنون الشعرية المولدة.

- الحقيقة انني احب الخوض في الموضوعات المجهولة والمهمة التي تستحق الاهتمام وتفتقدها الثقافة، ومن هنا ملت كثيرا الى ملاحظة هذه الموضوعات حتى صار لديني الكتابة في الموضوعات المجهولة. وكان الحلاج اولها لانني شعرت بأنه قد ظلم وجهل وان كان بعض الباحثين قد تطرقوا الى سيرته واشعاره عن (ما سينيون) الذي اهتم به اهتماما كبيرا ظلمه بإصداره نصا لأشعاره مليئا بالأخطاء اللغوية والنحوية والتفسيرية فعددت هذه الظاهرة نوعا من الموضوعات المجهولة التي تستحق الاهتمام والتصحيح ثم خطر لي ان اتابع اشعار الشيعية القديمة التي لم يطالع عليها الباحثون المحدثون مع ان المحدث منها قد حظي باهتمام كبير بالمغرب والمشرق واعتز بالكتب التي نشرها الاستاذ الكبير المرحوم علي الخاقاني وقد احدث ذلك عندي فراغا كبيرا في بدايات الاشعار الشيعية فكان ان اكتشفت عالما كبيرا واسعا في هذا المجال كان قد بدأ من شاعرنا الكبير (صفي الدين الحلي) في القرن الثامن الهجري، وهكذا بدأت اكتشاف هذه الألوان من الاشعار التي كان منها الكان وكان، والقوما، واستعد الآن لنشر ديوان المواليا الذي يسميه الباحثون بالموال وقد قصد به الشاعر الذي يلقي هذا النوع من

على سامي النشار، وقد طبع هذا الكتاب ثلاث مرات اولها في بغداد بمساعدة من جامعتها والثانية في دار المعارف في القاهرة والثالثة في دار الاندلس في بيروت، وربما هناك طيبة رابعة في المانيا في دار الجمل التي يشرف عليها الاستاذ (خالد المعالي)، لقد حظي هذا الكتاب باهتمام ايجابي وسلبى بين العرب واثار كثيرا من الخصومات ومنها عندنا (في العراق) نؤمل ألا يكون ظهوره سببا في خيبة امل للباحثين والقراء.

برزت في ميدان تحقيق الشعر، وبالذات شعر الحلاج وابي بكر الشبلي والنوري ثم توجهت نحو الفنون الشعرية المولدة التي ظهرت في الصور المتأخرة كبحر السلسلة والو بيت، والكان وكان.. وغيرها. ما هو منهجكم في التحقيق، وهل ثمة فرق بين الاتجاهين: شعر التصوف والفنون الشعرية المولدة.

- الحقيقة انني احب الخوض في الموضوعات المجهولة والمهمة التي تستحق الاهتمام وتفتقدها الثقافة، ومن هنا ملت كثيرا الى ملاحظة هذه الموضوعات حتى صار لديني الكتابة في الموضوعات المجهولة. وكان الحلاج اولها لانني شعرت بأنه قد ظلم وجهل وان كان بعض الباحثين قد تطرقوا الى سيرته واشعاره عن (ما سينيون) الذي اهتم به اهتماما كبيرا ظلمه بإصداره نصا لأشعاره مليئا بالأخطاء اللغوية والنحوية والتفسيرية فعددت هذه الظاهرة نوعا من الموضوعات المجهولة التي تستحق الاهتمام والتصحيح ثم خطر لي ان اتابع اشعار الشيعية القديمة التي لم يطالع عليها الباحثون المحدثون مع ان المحدث منها قد حظي باهتمام كبير بالمغرب والمشرق واعتز بالكتب التي نشرها الاستاذ الكبير المرحوم علي الخاقاني وقد احدث ذلك عندي فراغا كبيرا في بدايات الاشعار الشيعية فكان ان اكتشفت عالما كبيرا واسعا في هذا المجال كان قد بدأ من شاعرنا الكبير (صفي الدين الحلي) في القرن الثامن الهجري، وهكذا بدأت اكتشاف هذه الألوان من الاشعار التي كان منها الكان وكان، والقوما، واستعد الآن لنشر ديوان المواليا الذي يسميه الباحثون بالموال وقد قصد به الشاعر الذي يلقي هذا النوع من

الدكتور كامل مصطفى الشيباني، عالم معروف، واستاذ متخصص بالفلسفة، تخصص في دراسته الاولى في اللغة العربية، ثم اختار ان يجعل اختصاصه في الفلسفة فتتلمذ في الماجستير على يد ابي العلا عفيفي، ثم على يد المستشرق آرييري، وصدرت له العديد من الكتب في موضوع اختصاصه وغيره، وكان التصوف هاجسه، وما يتصل به، وحقق ديوان الحلاج، وابي بكر الشبلي، وابي الحسين النوري وكتب عن الصلوة بين التصوف والتشيع، وجمع ديوان الدوبيت، والكان وكان.. وغيرها وكتب عن الادب العذري، ورواية دون كيخوت، اصدر اخيرا كتابا عن بهلول المجنون.. ورائد عقلاء المجانين، ولديه العديد من البحوث والتحقيقات التي تستحق الاهتمام، منها (ديوان الموت)، وحقق ديوان شعر السهورودي المقتول. في هذا الحوار تحدث الشيباني عن الكثير من هذه المنعطفات في هذه السيرة:



الراحل مصطفى كامل الشيباني



من مؤلفات الراحل

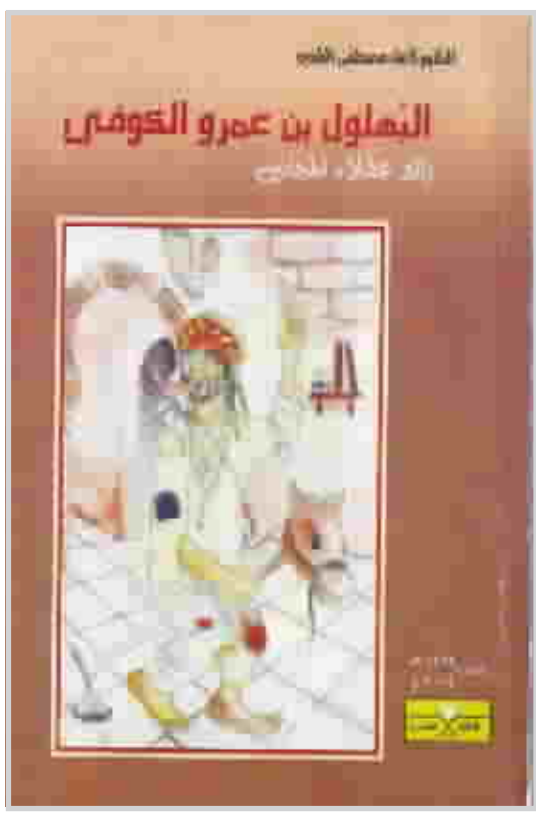
سيرة الشيباني بقلمه

ولدت في الكاظمية، في ١٤ شوال ١٣٤٥هـ/١٧ نيسان ١٩٢٧ في أسرة تتوارث إدارة العراق الدينية، وكان أولهم هجرة إلى العراق رجلا اسمه ربيعة جاء من مكة مع جيش السلطان سليمان القانوني فاتح العراق سنة ١٤٩١هـ/١٥٣٥م.

ودخلت الكتاتيب والمدارس الرسمية في الكاظمية، ثم درست الآداب العربية في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتخرجت فيها سنة ١٣٧٠هـ/١٩٥٠م ونلت درجة الماجستير منها سنة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م. بعد ذلك شددت الرحال إلى جامعة كمبرج، في المملكة المتحدة، حيث نلت درجة الدكتوراه سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

ويع الأثناء عملت مدرسا في المدارس الثانوية في العراق ثماني سنوات. وبعد إتمام الدراسات العليا عملت في كلية الآداب بجامعة بغداد منذ سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م حتى تقاعدي لأسباب صحية، في ١٠ رمضان ١٤٠٣هـ/٢١ رمضان ١٣٩٢هـ/٢١ تشرين الأول ١٩٧٢م.

وبع امتداد هذه السنين اتحدت للتدريس في جامعة الفاتح بطرابلس المغرب ثلاث سنين، تفرغت في جامعة هارفرد علميا مدة سنة جامعية كتبت فيها في عرفهم: زميلا باحثا، وقضيت سنة جامعية أخرى في جامعتي العتيقة، جامعة الإسكندرية أستاذاً زائراً شاركت أثناءها في مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه وأشرفت على الامتحانات الشفوية فيها، وكان ذلك شرفا عظيما ما زلت اتحسّن لذته واتلمظ حلواته!



من مؤلفات الراحل

يسابق به الخيال ويضع لها تفصيلات تجوز المقدار لتثير العطف والعواطف، وتجري بالدموع كاسيول على مثال العشي وامام العاشقين قيس بن الملوح العلوي (١٤).

ومن الموضوعات التي تدخل ضمن مصداق الأدب الشعبي القديم تلبيات مواكب الحج إلى مكة والمعابد الأخرى قبل الإسلام، فلقد كانت، كمواكب الاحتفال باستشهاد الحسين في العراق، ومواكب الصوفية في مناسباتها في مصر وغيرها، تعكس أدبا شعبيا فطريا بسيطاً صافياً يعبر عن إيمان ساذج في إطار من السجع البسيط الذي يفتقرن بأشعار قصيرة من الرجز، على العادة يومئذ.

الكهان، وكذا قصص الأبطال ووقائع الحروب وأحداث السماء التي يبراد بها (الخرافات الموضوعية من حديث الليل، أجروه على كل ما يكذبون من الأحاديث وعلى ما يستلجم ويتعجب منه)، وأطلقوا عليها اسم أحاديث خرافة.

ومن الموضوعات التي طرقها الأدب الشعبي قصص المحبين العذريين الذين ماتوا حبا، ومنهم، المرقش الأكبر (عوف، أو عمرو، بن سعد البكري، ت نحو ٧٥ ق.هـ / ٥٥٠م)، وعمرو بن عجلان النهدي (ت ٤٦ ق.هـ / ٥٦٦م)، وتوبة بن الحمير العذري (ت ٣٠ ق.هـ / ٦٨٠م)، وقيس بن ذريح الليثي (ت ٦٨ ق.هـ / ٦٨٨م).

ومنهم المغناطيس الأكبر لجذب الأساطير والأشعار وتجميعها، وخرزانة المبالغة في العذاب، ويعني به قيس بن الملوح العامري (ت نحو ٧٠ هـ / ٦٩٠م) وصاحبته ليلى اللذين عبرت أسطورتها حدود الجنس العربي إلى الآداب الشرقية وحظيت بأكبر قالب جديد

والشواني والأيام، ثم عد السنين والأجيال والقرون.

ومن هذه الفنون ما يصور الصلة الإنسانية بين الأم والطفل، وهي صلة، قد لا تعد من المواقف المهيبه الرهيبة ولا يوصف موضوعها بالجلالة والسمو، لكنها، بإنسانيتها وطبيعتها، تعد بالمقياس الحاضر نفسه تجارب شعرية حقيقية لصدورها عن التجربة والإحساس لا عن الثقافة والتعلم والإنشاء.

من هنا فإن ترقيص الأطفال، الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا، إنما هو أدب شعبي أصيل يصدر من شغاف الأم وهي ترى ثمرة أحشائها بين يديها تخاطبها وتمنى لها الأمنيات وتضجر بها وتدلها وترقصها حتى تطيب نومتها ولا عجب أن يكون الرجز هو الإيقاع الذي انصبت فيه هذه الأشعار، أو فلنسمها الأغاني المرقصة، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعري الذي يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها، وهو إيقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة.

ومن الأغراض التي تناولها الأدب الشعبي القديم، ما رأينا من النصوص التي يرددتها

من هنا فإن ترقيص الأطفال، الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا، إنما هو أدب شعبي أصيل يصدر من شغاف الأم وهي ترى ثمرة أحشائها بين يديها تخاطبها وتمنى لها الأمنيات وتضجر بها وتدلها وترقصها حتى تطيب نومتها ولا عجب أن يكون الرجز هو الإيقاع الذي انصبت فيه هذه الأشعار، أو فلنسمها الأغاني المرقصة، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعري الذي يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها، وهو إيقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة.

ومن الأغراض التي تناولها الأدب الشعبي القديم، ما رأينا من النصوص التي يرددتها

من هنا فإن ترقيص الأطفال، الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا، إنما هو أدب شعبي أصيل يصدر من شغاف الأم وهي ترى ثمرة أحشائها بين يديها تخاطبها وتمنى لها الأمنيات وتضجر بها وتدلها وترقصها حتى تطيب نومتها ولا عجب أن يكون الرجز هو الإيقاع الذي انصبت فيه هذه الأشعار، أو فلنسمها الأغاني المرقصة، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعري الذي يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها، وهو إيقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة.

ومن الأغراض التي تناولها الأدب الشعبي القديم، ما رأينا من النصوص التي يرددتها

من هنا فإن ترقيص الأطفال، الذي يعبر عن هذه الصلة ويصورها شعرا، إنما هو أدب شعبي أصيل يصدر من شغاف الأم وهي ترى ثمرة أحشائها بين يديها تخاطبها وتمنى لها الأمنيات وتضجر بها وتدلها وترقصها حتى تطيب نومتها ولا عجب أن يكون الرجز هو الإيقاع الذي انصبت فيه هذه الأشعار، أو فلنسمها الأغاني المرقصة، فهو الوزن الأقدم للتعبير الشعري الذي يصلح للصلة القدمى بين الأم ووليدها، وهو إيقاع أو وزن يحفل بالحركة والنشاط والسرعة والحماسة.

ومن الأغراض التي تناولها الأدب الشعبي القديم، ما رأينا من النصوص التي يرددتها